

أضواء البيان

@ 381 الجمعة هو يوم آدم عليه السلام فيه خلق ، وفيه نفخ فيه الروح ، وفيه أسكن الجنة ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه ثيب عليه ، وفيه تقوم الساعة . . .

كما قيل : يوم الجمعة يوم آدم ويوم الاثنين يوم محمد صلى الله عليه وسلم ، أي فيه ولد وفيه أنزل عليه ، وفيه وصل بالمدينة في الهجرة ، وفيه توفي . . .

ولما كان يوم الجمعة يوم إيجاد الإنسان الأول ويوم أحداثه كلها إيجاداً من العدم وإنعاماً عليه بسكنى الجنة وتواجده على الأرض ، وتلقى التوبة عليه من الله أي يوم الإنعام عليه حساً ومعنى ، فناسب أن يذكر الإمام بقراءته سورة السجدة في فجر يوم الجمعة لما فيها من قصة خلق آدم في قوله : { الَّذِي أَحْسنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ } . . .

وفيها قوله تعالى : { وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَهَلَّا لَكِنٌ حَقٌّ الْقَوْلُ مِذَى لِّمُؤْمِنِينَ لَّا يَلْمُوكَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } مما يثبت الخوف في قلوب العباد ، إذ لا يعلم من أي الفريقين هو ، فيجعله أشد حرصاً على فعل الخير ، وأشد خوفاً من الشر . . .

ثم حذر من نسيان يوم القيامة { فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَـذَا } . . .

وهكذا في الركعة الأولى ، يرجع المسلم إلى أصل وجوده ويستحضر قصة الإنسان الأول . . . وكذلك يأتي في الركعة الثاني بقصته هو منذ بدأ خلقه { مِن نُّطْفَةٍ أَمْسَاجٍ } ويذكره بالهدى الذي أنزل عليه ويرغبه في شكرانه عليه ويحذره من جحودها وكفرانها . . .

وقد بين له منتهاه على كلا الأمرين { إِنَّ زَآءَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَـلَاسِلَ وَأَعْزَـلَـلًا وَسَعِيرًا إِنَّ اللَّـهَ بِرَّارٍ يَشْهَرُ بِؤُنَ مِن كَآسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا } . . .

فإذا قرع سمعه ذلك في يوم خلقه ويوم مبعثه حيث فيه تقوم الساعة فكأنه ينظر ويشاهد أول وجوده وآخر مآله فلا يكذب بالبعث . وقد علم مبدأ خلقه ولا يقصر في واجب ، وقد علم منتهاه ، وهذا في غاية الحكمة كما ترى .